رسائل التيسير في التفسير

الرسالة الثانية

في ستة أيام

تأليف : محمد رفيق مسلاتي

المدينة المنورة

في شهر ربيع الأول عام
للهجرة النبوية 1442

الخلاف في معنى الأيام الستة في خلق السماوات والأرض

موضع آخر اختلفت الأقوال فيه هوقوله سبحانه (خلق السماوات و الأرض في ستة أيام) :
الإشكال الأول : السؤال الشائع بين الناس هو لماذا خلقهما سبحانه و تعالى في ستة أيام وهو القادر على أن يخلقهما في طرفة عين أو هو أقرب.
الإشكال الثاني : ما ورد في سورة فصلت بأنه سبحانه وتعالى ذكر أنه خلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام.
أبدأ بسم الله الرحمن الرحيم بذكر الآيات الكريمة التي ذكر فيها خلق السماوات والأرض وعددها تسع آيات في ثمان سور:
لأعراف - الآية (54)إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.
يونس - الآية (3) إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
هود - الآية (7) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ
الفرقان - الآية (59) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا
السجدة - الآية (4) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ
فصلت - الآية (9) أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين.
فصلت - الآية(12) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
ق - الآية (38) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ
الحديد الآية (4) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

أقوال المفسرين :

الإمام البغوي:قوله تعالى : (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام) أراد به في مقدار ستة أيام لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها ، ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء ، قيل : ستة أيام كأيام الآخرة وكل يوم كألف سنة . وقيل : كأيام الدنيا ، قال سعيد بن جبير : كان الله - عز وجل - قادرا على خلق السماوات والأرض في لمحة ولحظة ، فخلقهن في ستة أيام تعليما لخلقه التثبت والتأني في الأمور وقد جاء في الحديث : " التأني من الله والعجلة من الشيطان " .

الإمام ابن كثير:يخبر تعالى بأنه خلق هذا العالم : سماواته وأرضه ، وما بين ذلك في ستة أيام ، كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن ، والستة الأيام هي : الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء

، والخميس ، والجمعة - وفيه اجتمع الخلق كله ، وفيه خلق آدم ، عليه السلام . واختلفوا في هذه الأيام : هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الأذهان ؟ أو كل يوم كألف سنة ، كما نص على ذلك مجاهد ، والإمام أحمد بن حنبل ، ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس ؟ فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق; لأنه اليوم السابع ، ومنه سمي السبت ، وهو القطع .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : حدثنا حجاج ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع - مولى أم سلمة - عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : " خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل "

فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي من غير وجه ، عن حجاج - وهو ابن محمد الأعور - عن ابن جريج به وفيه استيعاب الأيام السبعة ، والله تعالى قد قال في ستة أيام; ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث ، وجعلوه من رواية أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، ليس مرفوعا ، والله أعلم .

الإمام القرطبي:قوله تعالى إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام بين أنه المنفرد بقدرة الإيجاد ، فهو الذي يجب أن يعبد . وأصل " ستة " سدسة ، فأرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء فغلبت عليهما . وإن شئت قلت : أبدل من إحدى السينين تاء وأدغم في الدال ; لأنك تقول في تصغيرها : سديسة ، وفي الجمع أسداس ، والجمع والتصغير يردان الأسماء إلى أصولها . ويقولون : جاء فلان سادسا وسادتا وساتا ; فمن قال : سادتا أبدل من السين تاء . واليوم : من طلوع الشمس إلى غروبها . فإن لم يكن شمس فلا يوم ; قال القشيري . وقال : ومعنى في ستة أيام أي من أيام الآخرة ، كل يوم ألف سنة ; لتفخيم خلق السماوات والأرض . وقيل : من أيام الدنيا . قال مجاهد وغيره : أولها الأحد وآخرها الجمعة . وذكر هذه المدة ولو أراد خلقها في لحظة لفعل ; إذ هو القادر على أن يقول لها كوني فتكون . ولكنه أراد أن يعلم العباد الرفق والتثبت في الأمور ، ولتظهر قدرته للملائكة شيئا بعد شيء . وهذا عند من يقول : خلق الملائكة قبل خلق السماوات والأرض . وحكمة أخرى - خلقها في ستة أيام ; لأن لكل شيء عنده أجلا . وبين بهذا ترك معاجلة العصاة بالعقاب ; لأن لكل شيء عنده أجلا . وهذا كقوله : ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون . بعد أن قال : وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا .

الإمام الطبري:القول في تأويل قوله : إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إن سيدكم ومصلح أموركم، أيها الناس، هو المعبود الذي له العبادة من كل شيء " الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام "، وذلك يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء ، والأربعاء، والخميس، والجمعة، كما: حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن مجاهد قال: بدءُ الخلق العرشُ والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وجُمع الخلق في يوم الجمعة، وتهوَّدت اليهودُ يوم السبت. ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون.

أقول وبالله أستعين:

أن جميع أقوال المفسرين وقفت عند معنيين للأيام الستة وهل هي كيوم في السماء أو يوم في الأرض وأتفقوا على أن مدة الخلق والتي هي ستة أيام إنما جعلها الله تبارك وتعالى ليعلمنا التأني والحلم والصبر.أما تحديدهم أنها أيام كأيام الأسبوع من الأحد إلى السبت، فهذا منقول من أهل الكتاب. ولا أريد أن أبحث في ما هي الأيام ومدتها ولكن ذلك يدل حسب مفهوم الأولين أن خلق السماوات والأرض تم على فترة ستة أيام كما هو في ظاهر الآيات المحكمات.

فأقول بعونه تعالى أن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في لمح البصر بل هو أقرب ولكن إكتمال التكوين هو الذي استغرق الأيام الستة ولا يعلم قدرذلك اليوم إلا رب العالمين . ولا أخالف بذلك النصوص القرآنية الثابتة والمحكمة، ولكني أرى تأويلها كالتالي:

قال سبحانه وتعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) هذه صفة من صفات الله تعالى وقد تكررت عدة مرات في كتابه الحكيم

ولننظر في هذه الآية نظرة فاحصة متدبرة ففي الآية الكريمة عدة عناصر : شيء.أردناه. قول كن. فيكون. فالشيء أي المخلوق أياً كان قد سبق خلقه في علم الله، إذا هذا الشيء قد خلق في علم الله تعالى ولم يعد عدماً، بل هو علم لله، حين أراد الله تعالى أن يظهره إلى الخلق أو ما نسميه الوجود هنا حصلت الإرادة بالخلق أي الخلق مادة في عالم الشهادة بقوله سبحانه وتعالى وهو العليم الخبيرالقدير فيقول له...القول الإلهي ليس كقولنا إنه سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى حين يقول لشيء كن فهذا الشيء المخلوق في علمه سبحانه يتحول بأمر الخالق إلى المادة التي قدرها الله وليكون بالشكل المخلوق في علم الله قبل أن يظهر إلى الوجود وهذا هو التكوين، أي فيكون.إذاً الله خلق الأكوان بعلمه وحكمته عندما صورها شيئاً وهنا كان خلقه كلمح البصر، أما (فيكون) أي التكوين فله زمان ومكان ونواميس وقوانين قدرها سبحانه في الكائنات وحركة الوجود وحركة التكوين. فالجنين خلقه الله سبحانه قبل أن تكون السماوات والأرض، ولكن حين تتحد النطفة مع البويضة يبدأ الخلق بجزء من الزمان يسيربمعنى التكوين ولكن التكوين (فيكون) يستغرق تسعة أشهر في العادة أو أقل من ذلك أو أكثر. فتلك نواميس قدرها الرحمن في خلقه لا تبديل لخلق الله.**إذا الخلق في علم الله كان كلمح بالبصر**،،والتكوين هو الذي قدره الله سبحانه وهو العليم الخبير بستة أيام لا ندري كم هي ولكن بالتأكيد أن المعنى يحتمل أنها ستة مراحل وحده سبحانه يعلم مدة المرحلة، ألم يقل سبحانه وتعالى(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لعبرة لكل صبار شكور) فما هي أيام الله إلا أيام نعمه على بني إسرائيل يوم استسقوا ولم يستسقوا في يوم واحد بل في زمن يعلمه الله وحده، ويوم قالوا لن نصبر على طعام واحد، وكذلك فإنهم لم يأكلوا في يوم واحد ولكن اعتبار اليوم هو يوم الإجابة ويوم عفا عنهم بعد إذ عبدو العجل ولم يكن ذلك في يوم واحد بل طيلة غياب موسى عليه السلام عنهم ولكن ذكرهم بيوم عفا الله عنهم وهو أمر له سبحانه لا يتعلق بزمان، ويوم أن نجاهم من آل فرعون. تلك مواقف وأنعم حدثت في أيام فليس المقصود بالتذكير في هذه الآية أن يتذكروا أن هذا حدث يوم سبت، أو يوم خميس أو جمعة. كذلك المعنى جميل جداً حين نصرفه إلى مراحل تطور الخلق. فربما بدأ الكون من ذرة هيدروجين التحمت بشيء ما ثم حدث التفاعل وامتدت مساحة الخلق حتى شملت السماوات والأرض وما بينهما..

ليس من المعقول أن نتصور أن الله يخلق خلقاً هكذا فجأة تظهر إلى الوجود المجرات والأرض وما عليها وما فيها ...**ألم يخلق الله سبحانه وتعالى** آدم طيناً أمداً ثم سواه ونفخ فيه من روحه، (تكوين) وكل ما خلقه سبحانه وتعالى ألزمه ناموساً وطبيعة،،، حبة القمح تضعها في التراب (خلق) ثم تنمو وتنمو حتى تخرج سنبلة (التكوين..فيكون).ولا نذهب بعيداً في شرح ذلك فقد بينه الله تعالى مفصلاً

بقوله(ثمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) فكان الخلق أولاً ثم مراحل التكوين وهو النشأة وقد جعل الله لذلك زمناً لكل مرحلة وكان الله سبحانه قادراً على أن يخلق الإنسان دفعة واحدة وأن يخلقه خارج الأرحام وأن ينشأ هكذا فجأة ولكن حكمته سبحانه قدرت لكل شيء قدره وجعلت لكل شيء كتاباً.فهو يخلق من الخلق خلقاً جديداً. ففي السحاب آيات مشابهة فهو قادر على أن يجعل السحاب جملة واحدة ولكنه قدر بعد أن أنزل الماء على الأرض أن يجعل له دورة يتبخر بفعل الهواء والشمس ثم يزجيه في السماء ويؤلف بينه فيركمه ثم ينزل الماء فيحي به الأرض بعد موتها.

فأوجز ختاماً أن خلق الله سبحانه وتعالى لما يريد كان من قبل أن يكون المخلوق ولكن التكوين والنشأة هي التي قدرها الله تعالى عملاً تكوينيا مرتبط بالزمان والمكان حال سائر المخلوقات.

هذا ما أراه بعون الله تعالى في الرد على السؤال لماذا لم يخلق الله السماوات والأرض بقوله كن فيكون لحظة واحدة...والله عز وجل أعلم.